

إشكالية الخطاب النسوي في الأدب الجزائري

"فضيلة الفاروق نموذجاً"

أ.ة). أحلام بوعلاق

جامعة عنابة

ملخص

يحاول هذا البحث أن يطرح عدة قضايا فيها قلق اجتماعية وكسر للطابوهات الفكرية والعقدية ، حيث عالج البحث أزمة الكتابة عند المرأة بصفة عامة وأزمة الخطاب الأدبي لديها بصفة خاصة ، كما ولج البحث لأهم العراقيل التي تواجهها المرأة في مجتمع أرثوذكسي رجولي ، وكان متكاً البحث من أوله إلى آخره هي أعمال الكاتبة الجزائرية فضيلة فاروق من خلال أبرز رواياتها " اكتشاف شهوة وتاء التأنيث " .

abstract

This research is trying to put forward a number of issues where social unrest and break the intellectual and ganglion tabohate, where treatment find writing crisis when women in general and clo literary discourse has a particular, also penetrated the search for the most important obstracles faced by women in orthodoxy manly society, and was reclined search from beginning to and so is the work of the Algerian writer fadila farouk through most of her novels "the discovery of lust and v".

مقدمة:

إنّ المتتبع لمراحل نشأة وتطور الأدب الجزائري يجد أنّ العنصر النسوي شارك بصورة محورية في بعث الأدب الجزائري من جديد، فقد شغلت الكتابة النسوية حيزا واسعا من النتاج الأدبي الجزائري سواء (قصة، شعر، نثر، رواية...)، كما تراها في البيت والشارع والجامعة وأماكن العمل تسجل نجاحات وإنجازات لها مكانة وقيمة في المجتمع والعالم.

فلا يمكن أن ننسى دور المرأة الجزائرية المناضلة الحرة ، التي دافعت بشجاعة الرجال عن وطنها وشرفها وهويتها، كما لا يمكننا أن نتجاهل المرأة الكاتبة الأدبية المثقفة التي تركت بصماتها في مجال الإبداع الأدبي وأثرت المشهد الثقافي والأدبي الجزائري والعربي والعالمي بكتابات أدبية استقطبت أنظار عدد كبير من القراء والنفاد والباحثين الذين راحوا يبحثون عن سرّ هذه الكتابة ومنبع هذا الإبداع.

فقد واكبت الأدبية الجزائرية الحركة الأدبية والنقدية العالمية ، وعبرت عن أوضاعها وتطلعاتها وآمالها وآلامها في كتابتها الأدبية التي تجسد واقع المجتمع الجزائري عامة، وموقع المرأة الجزائرية منه خاصة، حيث عبرت الأدبية الجزائرية عن معاناتها ومشاكلها ومجمل الصعوبات التي تعرقل طريق المرأة

نحو واقع أفضل... وهذا ما نجده بصورة واضحة في كتابات الأديبة الجزائرية "فضيلة الفاروق"، إحدى أهم وأبرز الأديبات الجزائريات، اهتمت في رواياتها ومختلف إبداعها الأدبي بعرض صورة المرأة الجزائرية في الحياة، وبتلقائية كبيرة تبوح للقارئ في رواياتها بما يدور في أعماقها كأنثى تخفي آلاما وتحمل أحلاما، تسعى إلى التحرر والإبداع والتطور.

1. الخطاب النسوي في الأدب الجزائري "بدايات واستشراف":

ظلّ وضع المرأة هامشيا عبر التاريخ الذي يكشف ما تعرضت له من مختلف أنواع الاضطهاد والظلم والإقصاء... فقد أُجبرت عبر الزمن على الخضوع لإرادة الرجل، من خلال إقناعها أنها أقل مستوى منه سواء في الخصائص البيولوجية أو الذهنية أو الجسمية... رغم >> أنّ المرأة منذ فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على ذكاء عظيم ودقة إحساس تستثير الإعجاب، ولقد ظهرت في ميادين النشاط الفكري شاعرة فياضة بالوحي الإلهي وناترة قديرة على إيقاظ أنبل عواطفنا الإنسانية، واستطاعت أن تكون رئيسة وحاكمة وقائدة جيوش وسياسية

محكمة...>>¹ فقد رافقت الرجل وكانت بجانبه وحققت نجاحات يشهد التاريخ بعظمتها، إلا أنّ ذلك لم يشفع لها ويخلصها من نظرة الهامشية التي حكم بها عليها المجتمع مسبقا.

فواقع المرأة الجزائرية لا يختلف عن غيرها من نساء العالم العربي، حكمت عليها تقاليد المجتمع بالإدانة والتهميش، مقابل تمتع الرجل بكل الحرية والسلطة والحياة، لكننا مع بداية الثلاثينيات نلمح جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية في تغيير الأوضاع والارتقاء بالمجتمع الجزائري من دائرة الجهل والأمية من خلال نشر التعليم، فكان للمرأة الجزائرية نصيب من ذلك الإصلاح، حيث اهتم العلامة عبد الحميد ابن باديس ب >> مسألة تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه... كما أن القانون ينص على أنّ البنين يدفع القادرون منهم واجب التعليم وأما البنات فيتعلمن كلهن مجانا، وهذا لا يحتاج إلى تعليق.<<2 انطلاقا من هنا أُتيحت الفرصة للمرأة الجزائرية لتتعلم وتطور من قدراتها وتُعلن عن طموحاتها التي ظلت حبيسة ردحا من الزمن، بسبب هيمنة الرجل والعائلة والمجتمع الذكوري الذي رفض التحاقها بالتعليم .

¹ . محمد بدر معبدي: أدب النساء (في الجاهلية والاسلام)، مكتبة الآداب، مصر، دط، ص 04 .

² . عمار الطالبي : آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997 ، ص113/115 .

استغلت المرأة الجزائرية فرصة التعليم وحققت نجاحا كبيرا في ذلك، والتحقت بالجامعة ونجحت في افتكاك مناصب في العمل، الأمر الذي أسال الكثير من الحبر على الورق، كيف لامرأة أن تكتسب مثل هذه المكانة؟ فهناك من رأى أنها تجاوزت الخطوط الحمراء بالتحاقها بالجامعة والعمل، فما بالك بالكتابة؟ فقد غامرت المرأة في خوض تجربة الكتابة الأدبية وكسر مركزية النمط الواحد في الأدب الجزائري، وتعتبر الروائية فضيلة الفاروق من أبرزهن في الساحة الأدبية الجزائرية.

فضيلة الفاروق أبرز مثال على المرأة الأدبية في مجتمع ذكوري بامتياز من مواليد 20 نوفمبر 1967 في مدينة أريس بقلب جبال الأوراس ، التابعة لولاية باتنة شرق الجزائر. هي كاتبة جزائرية تنتمي لعائلة ملكمي الثورية المثقفة التي اشتهرت بمهنة الطب في المنطقة، واليوم أغلب أفراد هذه العائلة يعملون في حقل الرياضيات والإعلام الآلي والقضاء. نالت شهادة البكالوريا سنة 1987 قسم الرياضيات والتحقت بجامعة باتنة كلية الطب لمدة سنتين، حيث أخفقت في مواصلة دراسة الطب الذي يتعارض مع ميولاتها الأدبية، إذ كانت كلية الطب خيار والدها المصور الصحفي آنذاك في جريدة النصر الصادرة في قسنطينة، عادت إلى جامعة قسنطينة والتحقت بمعهد الأدب وهناك ومنذ أول سنة وجدت طريقها، فقد فجرت

مدينة قسنطينة مواهبها. تميزت فضيلة الفاروق بثورتها وتمردتها على كل ما هو مألوف، وبقلمها ولغتها الجريئة، وبصوتها الجميل، وبريشتها الجميلة.¹ ، لها عدة أعمال روائية متميزة " لحظة لاختلاس الحب" سنة 1997م ومزاج مرافقة" سنة

1999م بدار الفرابي بيروت على نفقتها الخاصة، رواية تاء الخجل سنة2003م، ورواية إكتشاف الشهوة سنة 2005م و رواية أقاليم الخوف سنة 2010م. انطلاقا من هنا نتساءل : ماهو موقع الخطاب النسوي من الأدب الجزائري؟ وماهي الإشكالات التي تطرحها الأدبية فضيلة الفاروق في كتاباتها الأدبية؟ إلى أي مدى أسهمت في معالجة القضايا السيكلوجية للمرأة من خلال الكتابة الأدبية؟ وكيف تظهر صورة المرأة في كتاباتها ؟ ما هو موقفها كأنتى من الآخر "المجتمع والذكر"؟ وإلى أي مدى نجح الخطاب النسوي الجزائري في التأثير في المجتمع ؟ وتغيير وجهات النظر إلى المرأة؟

2- إشكاليات المرأة والكتابات الأدبية:

تأخذ ثنائية المرأة والكتابة أبعادا تاريخية، حيث >> تظهر اللغة تاريخيا وواقعا على أنها مؤسسة ذكورية، وهي

¹ . للإطلاع أكثر على سيرة الأدبية فضيلة الفاروق أنظر : <http://ar.wikipedia.org>

إحدى قلاع الرجل الحصينة.¹ << مُنعت المرأة من الاقتراب منها والدخول إليها، لأنها من اختصاص الرجل وحكر عليه. إضافة إلى ذلك ظلت المرأة بعيدة عن الكتابة تبعا للعديد من الأحكام التي صدرت ضد تعلمها ذلك، فقد طرح كتاب خير الدين نعمان بن أبي الثناء " الإصابة في منع النساء من الكتابة" إشكالية المرأة والكتابة: >> أما تعليم النساء القراءة والكتابة أعوذ بالله، إذ لا أرى شيئا أضر منه بهن، فإنهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها، فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمر، وبيتا من الشعر إلى عزب وشيئا آخر إلى رجل آخر، فمثل النساء والكتب والكتابة، كمثل شرير سفيه تهدي إليه سيفا أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فالليب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع.² << ففكرة الحط من قيمة المرأة متوارثة عبر التاريخ، إذ تمّ النظر إليها على أنها غير مؤهلة ، ولا تمتلك القدرة اللازمة، لذلك فهي مستثناة من الكتابة.

¹ . عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ، ط3، 2006 ، ص111.

² . عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص111 / 112 ، نقلا عن سميرة المانع، الثنائية اللندنية، لندن ، 1979، ص40 .

وتبعا لذلك شكل موضوع اقتحام المرأة لمجال الكتابة، وبروز اسمها بجانب اسم الرجل مجالا رحبا من الجدل والتأويل والنقد منذ القديم، >> ورغم كل هذا يبقى الواقع ومستجداته هاجسا يكبد آمالها وتطلعاتها بين الفينة والأخرى ، فأفرزت تلك الظروف لدى الأنثى أوجاعا أنهكت قواها باحثة عن سبيل للتملص منها.<<1 وقد كان الجدل قائما حول إشكالية هل يحق للمرأة أن تكتب؟ ولماذا تكتب المرأة؟ تجيب فضيلة الفاروق، نكتب لنجد من يسمعنا، من يحس بنا وبمعاناتنا قائلة: >> كل شيء يثيرني لأكتب، ذكريات الطفولة، الناس الذين أصادفهم في حياتي اليومية، القضايا الإنسانية، وضع الأطفال في بلادي، وضع النساء... أنجذب نحو الفقراء والتعساء والمظلومين بشكل غريب، لهذا تعجّ ذاكرتي بأناس لا يمكن حصرهم، وأود لو أنني أملك القدرة لأكتب عنهم جميعا...وقد اهتمت الروائية بالمرأة التي شغلت موقع البطولة في أعمالها الروائية ، حيث صرحت: أنا نسوية، وأدبي يعبر عن مآسي النساء بصدق، أكثر من أي كاتب آخر يظن أنه يحمل هم الإناث في عالمنا العربي. لقد كتب الرجال عن همومهم، ووصفوا النساء بالعاهرات، ومجدوا شخصيات مقززة في أدبهم، والآن جاء دورنا نحن النساء

¹ . جعفر يابوش : الأدب الجزائري الجديد" التجربة والمآل" ، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، دط، ص143.

لنعتني نماذج إيجابية لنساء مختلفات.¹ ومعنى أن تطغى المواضيع الخاصة بالمرأة على الأدب الذي تكتبه هو >> أنه أدب حي ملتزم يهتم بالفرد من حيث ماهو مضطرب في مختلف مناكب الحياة.² لذلك منحت الأدبية فضيلة الفاروق دور البطولة في رواياتها للمرأة، مبرزة قدرتها "المرأة" على تحدي تقاليد المجتمع البالية ، وعادات العائلة القاهرة ، وهيمنة الرجل والمجتمع المميته ، وعقدة كل هؤلاء حول تعليم المرأة وخوضها لمغامرة الكتابة وخروجها للعمل وإثبات قدراتها في مختلف المجالات، فالمرأة حسب تقاليدهم البالية >> تابع لآحرية له ولا إرادة ولا كيان، إنها ملكية الأسرة منذ أن تولد وحتى تموت (الأب أولا، ثم الأخ، وبعد ذلك الزوج، مكانتها في أن تكون ما أريد لها ليس إلا. <³.

تتحدى خالدة بطللة رواية **تاء الخجل** سيطرة العائلة وتخرج للتعليم رافعة التحدي "سأرى من سينكسر أنا أم هم"⁴،

¹ . للإطلاع أكثر على الموضوع انظر : محاورات مع الروائية فضيلة الفاروق، حاورتها الباحثة: أسماء حديد، <http://www.elwatandz.com/culture/16665.html>

² . عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر "1925 . 1954" ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص13.

³ . مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي «مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور" ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط9، 2005، ص 199 / 200.

⁴ . فضيلة الفاروق: تاء الخجل ، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان ، ط1، 2003، ص29 .

لتمضي بطموحاتها الكبيرة في عالم رافض لها ولأحلامها،
فتكتب لتستعيد حياتها وحريتها المسلوبة، وتستمر بانى بطة
رواية إكتشاف الشهوة فى تحدى كل من عمل على قمعها
وكبت عواطفها وقتل أحلامها >> فى الليل لا أنام، أفرد أوراقي
وأكتب ما أسميه رواية، وبطبيعة الحال لم أكن أعرف أى نوع
من الرواية أكتب، هل أكتب نفسى أم أكتب محيطي، أم أكتب
الآخرين، ثم أروي قصتي لنفسي لأتسلى.¹

فقد فتحت الكتابة للمرأة مساحة من الحرية تعبر من
خلالها عن أوضاعها ومشاكلها وآراءها...تقول خالدة: كانت
لعتبي المفضلة أن أصنع أشياء جميلة بالورق، مازل الورق
ضروريا فى حياتي، مازلت أصنع به أشياءي الجميلة² رغم
معارضة الجميع للمرأة والسخرية من قدراتها فى الكتابة والانجاز
الفعال، إضافة إلى عدم احترام خصوصياتها، وهو ما تجسده
حياة بانى فى رواية إكتشاف الشهوة، يدخل إلياس يفاجئني
وهو يفعل ذلك دون أن يطرق باب الغرفة، ينظر إلى بعينيه
اللتين تهبّ منهما عاصفة ثلجية، وينسى أن يلقي التحية كما
العادة، لكنه يسألني:

¹ . فضيلة الفاروق : إكتشاف الشهوة ، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت،

لبنان، 2005، ص 100 .

² . تاء الحجل: ص55 .

. لماذا تسهرين إلى هذا الوقت؟

أجيبه وأنا أنظر إليه مباشرة في العينين:

. إنني أكتب.

فيبدو أن الأمر لا يعجبه، فيعلق ساخرا:

. لم لا تفعلين شيئا ينفعك.

فلا أجيب.¹

إن مثل هذه التجاوزات في حق المرأة هو ما خلق فروقات في المجتمع، و ما أدى إلى تنامي ثنائية المركز والهامش، وقد اهتمت فضيلة الفاروق بإبراز ذلك في كتاباتها الأدبية.

3 - ثنائيات المركز والهامش فلاح كتابات فضيلة الفاروق:

تطرح الروائية فضيلة الفاروق في كتاباتها الروائية إشكالية المركز (الرجل، المجتمع)، والهامش (المرأة) انطلاقا من رؤية أن >> النساء مستبعدات عن كل الأمكنة العامة، مجلسا وسوقا، حيث تُلعب اللعب التي تعتبر عادة كأنها الأكثر جدية في الوجود الإنساني، مثل ألعاب الشرف وهن مستبعدات... فالنساء اللواتي يخضعن لعمل تنشئة اجتماعية ينحو إلى تصغيرهن وإنكارهن، يتمرسن على الفضائل السلبية في التفاني

¹ . اكتشاف الشهوة: ص 101 / 102 .

والخنوع والصمت... وهن معروضات دوما للإهانة إذا كنَّ
ضعيفات، ومثلهن مبادئ الضعف باعتبارها تجسيدات لهشاشة
الشرف والحرمة.¹، انطلاقاً من العائلة، الأب و لأخ مرورا
إلى الزوج تخضع المرأة لممارسات مختلفة من الاضطهاد، وهو
ما تفتتح به الأدبية فضيلة الفاروق رواية تاء الخجل:

منذ العائلة... منذ المدرسة... منذ التقاليد... منذ الإرهاب كل

شيء عني كان تاء للخجل،

كل شيء عنهن كان تاء للخجل،

منذ أسماءنا التي تتعثر عند آخر حرف،

منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة،

منذ أقدم من هذا،

منذ والدتي التي ظلت معلقة بزواج ليس زواجا تماما،

منذ كل ما كنت أراه فيها يموت بصمت،

منذ جدتي التي ظلت مشلولة نصف قرن من الزمن،

إثر الضرب المبرح الذي تعرضت له من أخي زوجها وصفقت

له القبيلة وأغمض القانون عنه عينيه.

¹. بيار بورديو : الهيمنة الذكورية، ترجمة : سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة،
بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص84/82/81.

منذ القدم، منذ الجوّاري والحريم،

منذ الحروب التي تقوم من أجل المزيد من الغنائم،

منهنّ... إلَيّ أنا لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع
وانتهاك كرامة النساء.¹

تتجسد ثنائية المركز والهامش بوضوح في علاقة
المرأة بالرجل في المجتمع الجزائري، مجتمع ذكوري بامتياز
حيث تمنع النساء من الخروج إلى الشارع في سن مبكرة من
العمر خوفاً عليهن من مخاطر الخارج، متناسين أنّ للمرأة روحاً
تحمل آمالاً وأحلاماً، ولها نفساً تحلم بالحرية لوضع بصماتها
في المجتمع بانجازاتها، ولكن للأسف، فالمجتمع قسّم المراتب،
وجعل المرأة في أسفل الترتيب ووضع الرجل في مركز القوة
التي مارس من خلالها سيطرته على المرأة وإحكام قبضته
عليها، تروي باني مأساتها مع أخيها مركز السلطة والقوة، >
فبالنسبة لي إلياس تنين خرافي بعشرة رؤوس قد يظالني حتى
وإن عدت إلى بطن أمي، كان في الرابعة عشرة حين رأي ذات
يوم مع عصابة أبناء الرّحبة، عاد إلى البيت هائجا كثور
مجنون، وأضرم النار في سريري، وقد كاد البيت أن يحترق
يومها بسبب فعلته لولا أن هبّ الجيران، وأخمدوا الحريق، وقد

¹. تاء الخجل: 11 / 12.

وقف والدي أمام فعلته مديد القامة فخورا بما حدث وقال له
 أمام الجميع: في المرة القادمة عليك أن تحرق السرير حين
 تكون نائمة عليه.¹ ، فالرجل الذي يحافظ عليها هو من يقمعها
 ويقتلها في صمت، ويحكم عليها بالموت لأنها أنثى تحمل العار
 في كل ثناياها، وهو ما يعيدنا إلى فترة الجاهلية ووآد البنات
 لمجرد أنهن من جنس الأنثى. لم تتغير الذهنيات بتاتا، وإنما ما
 تغير هو طريقة ممارسة القمع ضد المرأة، تتساءل باني " أترح
 السؤال على نفسي ولا أجد جوابا يقتعني سوى أننا في
 الخامسة والثلاثين، في مجتمعنا المغلق نتوهم كثيرا حين
 تتعلق المسألة بالزواج، ورغم ما كنت أوّمن به من أفكار
 وجدتني في الثامنة والعشرين سلعة قديمة دهمتها موجات
 الموضة وأحالتها إلى الرفوف المنسية، للأسف كنت أنتمي
 لمجتمع يُنهي حياة المرأة في الثلاثين.>>²

تستمر الأدبية فضيلة الفاروق في عرض وقائع
 المجتمع الجزائري الذي تفنن في تعذيب المرأة حتى وإن كانت
 هي الضحية، فقوانينه تفرض عليها دفع ثمن ذنب لم تقترفه،
 وقد سلّطت الروائية الضوء على موضوع حساس في المجتمع
 الجزائري والعربي، وهو الاغتصاب الذي تدور حوله رواية تاء

¹ . إكتشاف الشهوة: ص 14 .

² . المرجع نفسه: ص 13.

الخل، فتمضي خالدة في تحقيقها في موضوع الاغتصاب، إلا أنها تفاجئ بما لم تتوقعه حين انتشر خبر انتحار طفلة في الثامنة من عمرها، >> لم أصدق أن الأطفال ينتحرون لهذا حققت في الموضوع وبعد أن رمتني تفاصيله في أكثر من متاهة، اكتشفت أن الوالد هو الذي رمى بابنته من على الجسر، نسي الناس الاغتصابات الجماعية وصاروا يفكرون بريمة، قال إنه خلصها من العار لأنها أعتُصبت.<<¹ لأنّ الاغتصاب يعني الشرف الذي يقع بين الدفاع عنه أو خسارته، فخسارته تعني خسارة الحياة ، لذا يجب أن تموت ريمة ببراءتها حسب قانون المجتمع الجزائري الذي يحكم بالإعدام على كل مغتصبة، لا حول لها ولا قوة فيما صار لها. لأن العار سيلحقها حتى وإن بقيت على قيد الحياة وهو ما دفع معظم المغتصابات إلى الانتحار أو الجنون >> وحدهن المغتصابات يعرفن معنى انتهاك الجسد، وانتهاك الأنا، وحدهن يعرفن وصمة العار، وحدهن يعرفن التشرد والدعارة والانتحار، وحدهن يعرفن الفتاوى التي أباحت الاغتصاب...<<² فحياة المرأة في المجتمع الذكوري يمكن أن تنتهي فجأة من دون سابق إنذار، لذلك تعتبر >> المرأة أفصح الأمثلة عن وضعية القهر

¹ . تاء الخل: ص39.

² . المرجع نفسه: ص 56.

بكل أوجهها ودينامياتها ودفاعاتها في المجتمع المتخلف، في وضعيتها تتجمع كل تناقضات ذلك المجتمع، وفي سلوكها وتوجهها تظهر كل الأوليات التي عددنا، إنها أفصح معبر عن العجز والقصور، وعقد النقص والعار... فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرضا للتبخيس في قيمتها على جميع الأصعدة، الجنس، الجسد، الفكر، الإنتاج، المكانة...¹، ولكن هل نجحت هذه الطرق والوسائل القمعية في الحفاظ على المرأة وإسكاتها ؟ وتخويفها من الحياة خارج جناح الرجل؟

4 - مرحلة التمرد " صراع الأنا والآخر " :

رسخت تاء التأنيث فكرة الدونية عن المرأة، وخلقت فوارق بينها وبين الرجل إلى درجة الخجل، منذ العائلة... منذ المدرسة... منذ التقاليد... منذ الإرهاب كل شيء عني كان تاء للخجل، كل شيء عنهن كان تاء للخجل²، فقد فرّق المجتمع الذكوري بين الأنثى والذكر منذ الجواري والحريم، فالمرأة التي لا تنجب ذكرا للعائلة مصيرها الطلاق، أو تُعزل وتنبذ ، وهو ما حدث لوالدة خالدة التي لم تنجب ذكرا >> منذ ذلك اليوم لم نعد نرى والدي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفيما بعد عرفت أنه

¹ . مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي «مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور» ، مرجع سابق، ص199.

² . تاء الخجل: ص 11.

تزوج امرأة بإمكانها أن تتجب له أطفالا ذكورا ما دامت أُمي
غير قادرة على فعل ذلك.¹

من هنا كرس المجتمع الفوارق بين الذكور والإناث،
فجعل الأنثى أقل قيمة من الرجل وهو ما دفعها "الأنثى" لتعلن
رفض هويتها الأنثوية والتخلص منها لأنها دليل الذل والدونية
والهامشية، وهو ما يتجسد في شخصية باني بطلنة رواية
اكتشاف الشهوة فنقول: ...لم أكن مسالمة في الحقيقة كانت
رغبتى الأولى أن أصبح صبيا وقد آلمني فشلي في إقناع الله
برغبتى تلك، ولهذا تحولت إلى كائن لا أنثى ولا ذكر، لا هوية
لي غير الغضب الذي يملأني اتجاه العالم بأكمله.² ، اتجاه
العائلة والمجتمع الذي أسهم في ترسيخ هذه الإهانات ضد المرأة
رغم رفضها لها ، لذلك دخلت في مغامرة التخلي عن الأنوثة
للتخلص من عقدة النقص التي تلاحق أنوثتها، تقول خالدة
: كثيرا ما تمنيت أن أكون صبيا³ لكي لا تحس بالألم
والاضطهاد والقهر الذي يمارس في حقها ، ما حوّل أنوثتها إلى
واقع مر .

¹ . المرجع نفسه: ص 20.

² . اكتشاف الشهوة: ص 14 / 15.

³ . تاء الخجل: ص 22.

تمضي فضيلة الفاروق في تجسيد مختلف القضايا التي تواجه المرأة داخل الأسرة والمجتمع، وسرعان ما تمنح لبطلات رواياتها القوة للتحدي "يجب أن تتعلم المرأة أن تضع المجتمع كله تحت نعلها وإلا ما يمشي الحال¹ لكي تتخلص من عقدة النقص التي زجها فيها ، فتصرخ باني: سأتكلم ولن أسكت ما عاد الزمن زما للصمت²، لتخبر الجميع بمعاناتها مع زوجها مود الذي تزوجته تبعا لقرار عائلي وسافرت معه إلى فرنسا لتكتشف أنها زجت بنفسها في سجن آخر، >> مود الغريب ووالدي وأخي إلياس، وقبضة الحديد التي يخنقني بها النظام الأبوي الذي نعيش تحت رحمته.<<³ وتروي باني مأساتها مع زوج تخيلته بحجم أحلامها :استقبلني بصفعة أوقعني أرضا، ثم تهادى في ضربتي، وكانت تلك أول مرة يكون فيها عنيفا معي إلى تلك الدرجة، كانت ليلة خرساء... بلا نفس... بلا احتجاج !لم أستطع فتح عيني، ولا تحريك يدي، ولا قدمي، كنت بالمختصر المفيد ميتة.⁴ فكان اتخاذ باني لقرار الطلاق أكبر دليل على تمردها، رغم أن المجتمع اجتهد في تخويفها منه، فالطلاق في مجتمعاتنا العربية يعتبر

¹ . إكتشاف الشهوة: ص 35 .

² . المرجع نفسه: ص 53.

³ . المرجع نفسه: ص 23.

⁴ . المرجع نفسه: ص 58.

مجازفة خطيرة ومنعرجا صعبا بالنسبة للمرأة، إذ أن المطلقة حسب المجتمع الجزائري تعيش تحت النعال وهذا ما تلقنته باني في مجتمعها الذكوري.

وترى الأدبية فضيلة الفاروق " أن المصائب الحقيقية للمرأة العربية تبدأ بعد الزواج ، هي تبدأ أبكر بقليل عند سن البلوغ، ولكنها تصبح أكثر وطأة حين تتزوج، حين يصبح السجن الزوجي - عند بعضهن - أكثر قسوة من السجن الأبوي عند بعضهن الآخر، حين تصبح قائمة الممنوعات في حياتها تطال حتى رؤية الأهل، وزيارتهم، حين يصبح الزواج عبئاً أكبر بكثير من أحلام مراهقة حلمت بالحب والسعادة في ظل رجل سيمنح لكيانها حضوراً حقيقياً في الحياة، لكن أل هذه الدرجة يصعب علينا أن نقول لا ونتحكم في زمام حياتنا خاصة نحن النساء؟

ما المانع من أن نفتح أفواهنا ونقول ما يتعبنا، ونخاطب الرجل كصديق ورفيق حياة؟ أشعر أحياناً أننا نحن النساء نصنع تعاستنا بأنفسنا جيلاً عن جيل، ونسلم أمورنا للرجال، وهم يتصرفون بالطبع حسب مصالحهم، وحين نبكي في بيوتنا

البائسة وحيدات، يكون أزواجنا يشمون "الهوى والهواء" في بلدان مجاورة أكثر تحرراً.¹

5 - المرأة والدين والسياسة:

تطرح الأديبة فضيلة الفاروق إشكالية الدين والسياسة بشكل من الجراءة والتحدي للمجتمع الذي أنقص من قدرة المرأة وعدم كفاءتها في خوض مثل هذه التجارب والمواضيع، فتُظهر لنا موقف المرأة من القضايا الدينية ، ووعيها بما يحدث في فترة عصيبة من تاريخ الجزائر، حيث ترى خالدة أن >> الناس هنا لا يخالفون ما تقوله المآذن، حتى حين قالت:

اللهم زنّ بناتهم.

قالوا: آمين.

وحتى حين قالت: اللهم يتّم أولادهم.

قالوا: آمين.

وحتى حين قالت: اللهم رمل نساءهم.

قالوا: آمين.

¹http://www.alsharq.net.sa/2012/10/12/531308?fb_action_ids=362890090464066&fb

كانوا قد أصيبوا بحمى جبهة الإنقاذ، فغنوا جميعا بعيون
مغمضة دعاء الكارثة...¹

وقد كانت المرأة أكثر المتضررين من هذه السياسة
الدينية التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء، كانت موضوعة
جبهة الإنقاذ !
صرعة.

تغيير...

... ولهذا تنام يمينية نازفة في المستشفى الجامعي حاملة آثار
التغيير ! ولهذا مئات الزهرات يغتصبن، ما باركه الشعب
بالدعوات كان يجب أن يصيب الشعب لا غير.²

تكشف الروائية فضيلة الفاروق الستار عن النتائج
السلبية التي آل إليها المجتمع الجزائري جراء تلك التغييرات
الذي صفق لها أغلبية الشعب دون وعي والتي انتهت بالتمرد
والعصيان، وتشير خالدة إلى فتاوى الجماعات المتطرفة، ودينهم
الجديد الذي أعاد سنّ القوانين الدينية حسب ما يخدم
مصلحتهم، فأباحت الفتاوى الاغتصاب، في وثيقة عثر عليها
الجيش بعد مجزرة بن طلحة:

¹. تاء الخجل: ص 52/51.

². تاء الخجل: ص 52.

الأمير هو الذي يهديها.

لا يقبلها إلا من أهديت له ويأذن الأمير.

لا تجرد من الثياب أمام الأخوة.

لا يجوز النظر إليها بشهوة.

لاتضرب من الإخوة بل ممن أهديت له، فعليه أن يفعل بها ما يشاء في حدود الشرع...¹ أيّ شرع هذا الذي يبيح الاغتصاب، أيّ دين هذا الذي يسنّ مثل هذه القوانين والشرائع، أيّ عدل هذا الذي يبيح عرض وشرف المرأة من دون رحمة ولا إنسانية.

أما إذا انتقلنا إلى السياسة فقد رصدت الأدبية فضيلة الفاروق مكانة المرأة منها، بعدما كانت مستبعدة عن هذا المجال الذي ظل حكرا على الرجل الذي منع المرأة من إبداء رأيها في القضايا السياسية، بل وتمادى في النيابة عن صوتها في ذلك، وهو ما تكشفه خالدة أثناء تحقيقها في قضية المغتصابات، وحديثها مع ضابط الشرطة الذي يحقق في قضية ما إذا كان تمّ اختطافهن أم التحقن بإرادتهن مع الجماعات، لأن التحقيق كشف أنّ أغلبهن ينتمين إلى تيارات إسلامية، تجيب خالدة: >> أي امرأة هذه التي تذهب إلى مقر حزب وتعلن

¹ . المرجع نفسه: 56.

انتماءها؟ إنك تعرف جيدا أنّ أغلب النساء لسن مسؤولات عن أنفسهن، فغالبا ما يقوم أحد رجال العائلة بتسجيلهن كمنتميات لأحزاب فيما لا علاقة لهن بالسياسة.¹ فالمرأة بالنسبة إليهم تابع لا حرية له ولا إرادة منذ أن تولد حتى تموت.

وتشير الأدبية أن المرأة المثقفة التي تحدثت تقاليد المجتمع البالية، وتعلمت وعملت إلى جانب الرجل، تعتبر أكثر وعيا بالقضايا السياسية، فهاهي خالدة تبحث وتحقق وتكشف الستار عن حقائق بشعة تحدث في المجتمع الجزائري، كانت المرأة أكبر متضرر فيها، فتقدم احصائيات رهيبة لأحداث وقعت لما كانت الأوضاع السياسية في البلاد مضطربة >> سنة العار... سنة 1994 التي شهدت اغتيال 151 امرأة، واختطاف 12 امرأة من الوسط الريفي المعدم، ثم ابتداء من عام 1995 أصبح الخطف والاغتصاب استراتيجيات حربية، إذ أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة G I A في بيانها رقم 28 الصادر في 30 نيسان أفريل أنها وسعت دائرة معركتها: " للانتصار للشرف بقتل نساءهم ونساء من يحاربوننا أينما كانوا... تضاربت الأرقام بطريقة مثيرة للانتباه في حضور قانون الصمت، 1013 امرأة ضحية الاغتصاب الارهابي بين

¹. تاء الخجل : 68 .

سنتي 1994 و 1997، إضافة إلى ألفي امرأة منذ سنة
1997...<1

6 - المرأة و قضايا المجتمع:

يشير الناقد عبد الله الغدامي في كتابه المرأة واللغة أنه >> حينما نترك المجال لصوت المرأة كي يتكلم ويعبر، فإننا بهذا نضيف صوتا جديدا إلى اللغة، صوتا مختلفا ونفتح بابا للنظر ظل مغلقا على مدى طويل وفي كل الثقافات.<<² وهو ما تكشفه للقارئ كتابات الأديبة فضيلة الفاروق التي ركزت على العديد من المواضيع الاجتماعية الحساسة التي يقبع فيها المجتمع الجزائري، الذي يعتبر عينة من المجتمع العربي، حيث نلاحظ أنها ركزت على مشاكل المرأة والصعوبات التي تعترضها وأبرزت مختلف وسائل القمع الذي تتعرض له من المؤسسة الذكورية، تتساءل باني >> في مدينة كهذه تحار ما الذي يثير الرجال، فتسمع بين الحين والآخر عبارات جنسية بذينة تحرشا بالنساء كلهن محتشمات، وكلهن مفرغات من أي نوع من الإثارة، ألبستهن كنيبة، عبوسهن فطري، متأهبات دائما لحرب ما، شرسات وأكاد أقول غير جميلات، وحتى

¹ . المرجع نفسه: 36.

² . عبد الله الغدامي : المرأة واللغة، مرجع سابق، ص 9/8 .

اللواتي يبدون متألمات تجعلك شراستهن المفتعلة تنفر منهن،
نحتاج إلى مؤسسة في علم النفس المتطور جدا لعلاج هذه
الظاهرة اليومية المتكررة في شوارعنا...¹، وتستمر الأدبية في
تشخيص المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع محاولة تشخيص
الداء لوصف الدواء، حيث طالت يد الفساد كل شيء في
الجزائر ، بعدما تخلت الدولة عن الشعب، وتجعلنا قضية الطفلة
ريمة التي لم تتجاوز الثامنة من عمرها في حيرة ! فهي ضحية
اغتصاب من وحش بشري في الأربعين يقطن بالحي نفسه، إلا
أن العقاب طالها هي الضحية وحكم عليها تبعا لتقاليد المجتمع
البالية بالإعدام، فانتهدت حياتها على يد والدها الذي ألقى بها
من على جسر "سيدي مسيد" ظنا منه أنه سيمحو العار، >>
هنا العدل يصنعه الرجال حسب تصوراتهم الضيقة،
فالمادة 336 من قانون العقوبات الجزائري الخاصة بهتك
العرض تنص على معاقبة كل من ارتكب جناية اغتصاب
بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات، وإذا وقع هناك
العرض ضد قاصرة لم تكمل السادسة عشرة فتكون العقوبة
بالسجن المؤقت من عشر إلى عشرين سنة... <<² ومن هنا
تحاول الأدبية فضيلة الفاروق >> إفهام المرأة أنها أخضعت

¹ . اكتشاف الشهوة: ص 135 .

² . تاء الخجل: 55.

لعملية تاريخية تستهدف تهيئتها لقبول وضعها المتدني في التاريخ...>>¹

كما يظهر وعي الأدبية فضيلة الفاروق بمشاكل المجتمع الجزائري المتقل بالهموم والخروقات ، في إحساسها بمشاكل الشباب الذي يعيش حالة من الضياع في ظل انقلاب الموازين في شتى المجالات، فلا تكاد تفرق بين متعلم وأمي وبين مثقف وجاهل، لذلك فضل الكثير من حاملي الشهادات الجامعية الالتحاق بصفوف الشرطة والجيش، وهو ما قام به زوج باني >> لأن لا مستقبل للمهندسين في الجزائر ، في الشرطة كان المرتب مغريا وكانت هناك امتيازات لم يحصل منها على شيء، مات برصاصتين في القلب وتركك بلا ذاكرة...>>². وتضيف >شباب الجزائر كلهم وعدوا بالسكنات فراحوا جميعهم إلى القبور قبل أن يعرفوا معنى الحياة...>>³

إن الأدبية فضيلة الفاروق مثال المرأة الجزائرية المتعلمة والواعية والمتقفة، حملت كتاباتها الأدبية مواقفها وآراءها في مختلف المواضيع المسموحة والممنوعة، كما تحدثت

¹ . يوسف عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين ، القاهرة، مصر، ط1 ، 1994 ، ص41.

² إكتشاف الشهوة: ص128 .

³ . المرجع نفسه: ص 126.

التقاليد الرجعية التي سيطرت على الذهنيات ربحا من الزمن، ما جعل المجتمع الجزائري يتكبد تخلفا وتراجعا كبيرين مقارنة مع المجتمعات المتقدمة. فهي أبرز مثال على نموذج المثقف الواعي الذي لا يسمح لأي سلطة أو قوة بتوجيهه، فقد آمنت الأدبية وجسدت مقولة المفكر إدوارد سعيد الذي يدعو المثقف >> ألا يتوقف عن تذكير نفسه بأنه، باعتباره مفكرا أو مثقفا، يتحمل دون غيره مسؤولية الاختيار بين تمثيل الحقيقة بأقصى ما يستطيع من طاقة، وبين السماح لراع من الرعاة، أو سلطة من السلطات بتوجيهه...<<¹

النتائج:

. يتضح لنا مما سبق أن الأدبية فضيلة الفاروق واكبت واقع المرأة الجزائرية، وأبرزت معاناتها وتطلعاتها وآلامها وأحلامها في مجتمع ذكوري بامتياز، فقضيتها الأولى هي المرأة بكل تفاصيل حياتها.

. لقد اختارت فضيلة الفاروق الرواية لأنها أصدق وأقرب الأجناس الأدبية تعبيراً عن الواقع، فكانت الكتابة الأدبية وسيلتها لنقل مختلف القضايا السيكولوجية للمرأة.

¹ . إدوارد سعيد : المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص198.

. إن من يقرأ كتابات **الفاروق** يفهم أنها نائرة ضد الظلم بصفة عامة وظلم المرأة بصفة خاصة، وهو ما جعل أغلب شخصيات رواياتها من العنصر النسوي، فقد تحدثت بصوت من لا صوت لهم ونقلت واقع المرأة من دون مساحيق، وبصورة درامية واقعية. . تدعو الأدبية كل نساء الجزائر والعرب والعالم إلى كسر تقاليد المجتمع البالية، وتحدي كل الحواجز التي تقف في طريق تنمية وإبراز قدراتها كأنتى ناجحة، ورد الاعتبار لصورتها التي دُنت في الذهنيات .

. أسهمت الأدبية **فضيلة الفاروق** في تقديم صورة ايجابية لنساء ناجحات في المجتمع الجزائري، خضن مغامرات التعليم والعمل والسياسة... وهذا بهدف تشجيع معظم النساء على الخروج من قوقعة الخوف والتردد ومحو تلك الصورة الدونية المزيفة عنهن التي ترسخت في الذهنيات منذ القديم.

. كما اهتمت بالمسائل النسوية بصورة كبيرة، لأنه في كثير من الأحيان تكون المرأة هي أكثر تعبيراً عن أوضاع المرأة، كما أن النساء لا ينظرن إلى الأشياء بنفس نظرة الرجال، وهذا ما ميز مختلف التجارب الفكرية والأدبية والاجتماعية التي تقدمها المرأة.

المصادر والمرجع المعتمدة:

- 1 . فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003م.
- 2 . فضيلة الفاروق: : اكتشاف الشهوة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2005م.
- 3 . إدوارد سعيد : المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.
- 4 . بيار بورديو : الهيمنة الذكورية، ترجمة : سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2009م.
- 5 . محمد بدر معبدي: أدب النساء (في الجاهلية والاسلام)، مكتبة الآداب، مصر، دط.
- 6 . عمار الطالبلي : آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997م.
- 7 . جعفر يايوش : الأدب الجزائري الجديد" التجربة والمآل" ، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر.
- 8 . عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ، ط3 ، 2006م .

9 . عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر "1925م . 1954م" ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، م1983.

10 . مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي "مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط9، 2005م .

11 . يوسف عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين ، القاهرة، مصر، ط1 ، 1994م.

12. للاطلاع أكثر على سيرة الأدبية فضيلة الفاروق أنظر

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

13.http://www.alsharq.net.sa/2012/10/12/531308?fb_action_ids=362890090464066&fb_action_types=og.likes

14 . للإطلاع أكثر على الموضوع انظر : محاورات مع الروائية فضيلة الفاروق، حاورتها الباحثة أسماء حديد،
<http://www.elwatandz.com/culture/16665.html>